حاجتنا إلى المرأة

فى إنشاء العمل الاجتماعى الكبير

بقلم الدكتور محمد عبد المنعم رياض بك
القاضى بمحكمة مصر المختلطة

كثيرا ما تناول الكتاب واجبات المرأة بالبحث والجدال ، وتساءلوا أيجب أن تحيا المرأة حياة الرجل أم تظل منهمكة بمنزلها معنية بزوجها وأولادها . كما تساءلوا أهى تفوق الرجل أم تقل عنه ؟ ولسوف يتداولون الرأى ولا شك طويلا فى هذا الموضوع .

أما أنا فتخالجنى ثقة لا حد لها بالمرأة وبقدرتها على نشر ألوية السعادة حولها ، وليس محلها فى عرف مزاولة الأعمال أو القيام بشؤون المكاتب ، بل محلها فى منزلها أولا وفى مهمتها الاجتماعية ثانيا . فللمرأة حيث كانت رسالة سامية تؤديها ولا سيما فى مصر المفتقرة الى الخدمة الاجتماعية .

وإن الاصلاح الاجتماعى الذى تحتاج اليه مصر لن يدر درّه ويؤتى أكله إلا إذا تسلمت مقاليده المرأة المصرية . فما أعظم سلطان المرأة فى مغناها ومكتنفها ! ولقد كنت عنيت بدراسة تطوع المرأة للخدمة الاجتماعية دراسة خاصة لما كنت السكرتير العام لوزارة الشؤون الاجتماعية ، واهتممت كل الاهتمام بمدارس الخدمة الاجتماعية بالقاهرة والاسكندرية حيث تتدرب الفتيات والسيدات على النهوض بالعمل الاجتماعى فى شتى حلباته ، كإدارة الملاجئ ومعاهد الأطفال ، والعناية بالمنزل ونظافته وجماله ، وحيث تغرس فى نفس المرأة الكياسة لتكون أهلا للتغلب على جميع مشكلات الأسر ولتوطد أركان المحبة والسعادة بما لها من نفوذ فعال واسع المدى فى كل مكان تغشاه .

ويخيل إلىّ أنه لو ألفت لجنة من السيدات تظلها رعاية سامية لجاءت بالمعجزات ، ولحدت بها وسائل التشجيع العالى إلى أن تتخذ لها الفروع فى جميع الأحياء ، بل فى كل مجموعة من المنازل وفى كل حى وفى كل شارع . فالمرأة أعمق أثرا عند ما تبذل النصح والمشورة لمن تعرف من جاراتها دون تطفل أوفضول . وسرعان عندئذ ما يسود المنازل ما يجب أن يسودها من النظام والنظافة والصحة ومباهج الحياة العائلية ولو على سبيل المحاكاة .

وعلى تلك اللجنة أن تضع برنامجا اجتماعيا واسع النطاق تتناول فيه العناية بالشوارع والمنازل والأطفال والشيوخ والمرضى والحوامل والتربية العامة والنظافة والتدبير المنزلى .

أما فى الأرياف والقرى — وميدان العمل متسع فيها جدا — فقد تستطيع هذه اللجنة أن توفر للفلاح حياة جديرة بالانسان ، وذلك بأن تتصل بالعمدة ليقوم بمساعدتها فى عملها

الاجتماعى . وعلى كل لجنة فى حى أو قرية أن تدرس حاجات من تعنى بهم وتدبر لمساعدتهم المال اللازم . فلو تعاون الجميع حسب مختلف وسائلهم لتضاءلت النفقات ولاستطاعت المرأة أن تستندى أكف الأغنياء وتحملهم على البذل والعطاء .

والواقع أن نظام المقايضة يجب أن يعم الطبقة الفقيرة . فما أعظم النتائج التى يحصل عليها لو تعاون البناء والنجار وغيرهما فى بناء الدويرات التى يستفيد منها الجميع وأشرفت النساء على ذلك العمل وقادته مسترشدة بما تعرفه من حاجات الأسر .

ولو عمد الجميع ، رجالا وصبيانا ، الى العمل فى أوقات الفراغ والبطالة ، وفى الفترات التى لا تتطلب الأرض فيها عملا كثيرا ، وفى أوقات العطلة بالمدن ، لظفرت كل قرية بأسة بحمامات عامة وأندية ومجامع ألعاب ، ولتوزع العمل بين النساء كل على قدر طاقتها واستعدادها : فهذه جماعة منهن تعنى بغسيل الأسرة ، وتلك تصلحه ، وأخرى تعجن وتخبز ، وسواها تهتم بالمنزل وحديقته كما لو كان ملكها الخاص ، ولأخذت أذكاهن فؤادا تراقب الصحة العامة وترسل فى الوقت الملائم الى المستشفيات والعيادات ما يتيسر إرساله من المرضى والجرحى والمسلولين فتنقذ بذلك كثيرا من النفوس البريئة .

إن مشاريع الاصلاح الرسمية الكبرى تستشرف العالى من الأمور، وقلما تنجح الحكومة فيه أو تتمه ، وذلك لما يتطلبه من مال وافر ورجال متخصصين ، ولن تتوافر للحكومة أبدا الموارد اللازمة لمواجهة هذه المشاريع إذ ليس ذلك مما يستطيع أن يتفرغ له موظفوها .

لنبدأ أولا بتربية أكبر عدد ممكن من النساء وتوجيههن الى الهدف الاجتماعى ، فتستفيد المرأة هى نفسها كما يستفيد غيرها من هذه التربية التى تنتشلها من وهدة الكسل وتوفر لها عملا وغاية فى الحياة تستعيض بهما عن اللهو والثرثرة .

ولست أعنى أن تقوم السيدات بإنشاء مؤسسة جديدة على غرار المؤسسات الخيرية القائمة فى البلاد ، فحاجتنا الى تنظيم المؤسسات الموجودة أمس منا الى ايجاد مؤسسات جديدة . ومن أهم وسائل التنظيم أن توحد المؤسسات التى تقوم بعمل متشابه ، وأن يعمد الى إثارة اهتمام المحسنين لهذه المؤسسات حتى يكونوا على بينة من العمل الذى تؤديه والذى يبذلون له المال .

واللجنة العامة التى أشير اليها هى أجدر من يضطلع بالرقابة العليا على الأعمال الخيرية والجهود المنتشرة والعمل على تنسقيها وانسجامها وزيادة اهتمام الناس بشؤونها .

ولما كان القيام بإصلاح اجتماعى كهذا يتطلب وقتا لتجنى غراسه ، فيجب أن يبدأ فى كل شعب نخبة من السيدات على جانب من التربية الاجتماعية تأخذ كل واحدة منهن على عاتقها تربية بيئتها وجيرانها ومن حولها من الصديقات ، ثم تنهض كل واحدة من

هؤلاء الى النسج على منوال من أخذت عنها تلك التربية ، وهكذا دواليك حتى تتسع الحلقة . ويقيني أن هذه الحركة ستتسع ولو أنه سيعتور تقدمها بعض العقبات التي أرجو أن تتمكن من التغلب عليها .

ومن أهم ما يجب أن تدركه السيدة معرفة ما هو الاحسان ، وما هي محبة القريب ، وكيف يعود الخير على صاحبه ، وكيف تعوض تلك التضحيات الضئيلة التي تبذل في سبيل اسعاد الغير آلاف الأضعاف بما يشعر به المرء من غبطة وارتياح لقيامه بها . ولعمري ما الذي تتكلفه المرأة مثلا في الامتناع عن الاسراف ، أو في العناية بالثياب القديمة وتنظيفها ورفوها وكيها ثم في التصدق بها على من يكون في حاجة اليها ؟ وما الذي تتكلفه إذا هي لم ترم رمى النواة لعب الأطفال التالفة أو المكسورة ، وإذا هي فرقتها على الصغار الفقراء الذين يفرحون بهذه اللعب وليس لهم ما يلهون به أو يلعبون ؟ .

وفي المواسم والأعياد كم تسرف الأسر في المآكل والحلوى مع أنها لو قامت بشيء من التدبير والنظام لوفرت نصيبا منها للفقير ؟ .

والمآدب ؟ أليست مصدر المتعة والغبطة للكثيرين ؟ فما ضرّ لو أقيمت مآدب للحرومين وتبرعت كل سيدة بلون من ألوان الطعام فيها ؟ إنا لا نخال في ذلك إرهاقا لها أو تجاوزا للطاقة .

والحفلات الشعبية ؟ هل يفكر أحد ممن يتنقلون في المواسم من حفلة الى أخرى أن يعنى بإقامة حفلات للمحتاجين من أفراد الشعب الذين يقضون أكثر أيامهم في عمل شاق وجهد مضن لا متعة فيه ولا رفاهية ؟ ألا إن في مقدور كل لجنة أن تنشئ مدرسة عملية أو ملجأ صغيرا في حيها . أو أن تهتم بالمتشردين الأحداث في المنطقة التي تشرف عليها ، فتلتقط من يخرج من دور الإصلاح منهم وتنقذهم من الحمأة التي يوشكون أن يتردوا فيها ، وتستطيع في هذا الباب كل لجنة فرعية أن تعتمد على اللجنة العامة لما لأعضائها من شخصية ونفوذ .

ولا سبيل إلى مطالبة الحكومة بالبدء بهذه الجهود المتنوعة المختلفة ، فمهمة الحكومة أن تتدخل في آخر الأمر عندما تسير القافلة فتخصها بعونها سواء بالإعانات المالية أو بإمدادها بأطبائها وممرضاتها وخدماتها .

والصعب في ذلك كله هو البدء في السير ، ولا نظنه يتطلب يد الرجل القوية ، فيد المرأة المفعمة بالشجاعة وكرم النفس والأثر الفعال كفيلة بأن تلمس ذلك المشروع فينبثق منه النور ، فهو لا يحتاج إلا إلى يد كريمة يدين لها الجميع بالمحبة والإجلال .

فأحبب بذلك اليوم الذي تسير فيه قافلة العمل الاجتماعي الى خير مصر ، وأجمل به تذكارا نبيلا يحيي فيه القوم ميلاد مشروع وطني عظيم !

محمد عبد المنعم رياض